يعرض هذا الكتاب صورة قوامها الوثائق التى أذيعت الى الآن . وليس شك في أن المجموعة الذى نشرتها وزارة الخارجية الالمانية من محفوظاتها معنونة «السياسة العليا للوزارات الاوربيـة بين ١٨٧١ و ١٩١٤» ومحتوية وثائقها الديبلوماسية الخاصة بتلك المدة هى أهم المصادر التى يرجع اليها جميعاً وأعظمها شأناً . وقد ختمت أخيراً هذه المجموعة التى هى بلا ريب عمل تاريخي ضخم لم يسع بلداً من البلدان الى اليوم أن يأتى بمثـله . ذلك أن ما أذيع من محتويات دار المحفوظات الروسية وان كان واسع النطاق بالقياس الى غيره ، ليس بالنسبة الى تلك المجموعة سوى مقدمات ومقتطفات لا تتناول الا اقتراحات وجيزة من تاريخ ما قبل الحرب . وما نشره ايزفولسكي لا يعدنا الا لنظرة فى السنوات الاخيرة التى سبقت وقوع الكارثة . وقد الف سيبرت كتاباً أسماه « الوثائق الديبلوماسية عن تاريخ سياسة دول الوفاق » ترك في العصر الذى ترجع اليه تلك الوثائق نقطاً كثيرة لم يتناولها . ثم جاء ما نشره الفرنسيون ناقصاً كل النقص ، وما فعله الانجليز لم يتجاوز وعداً بنشر مجموعة من الوثائق كان يجب أن تظهر أجزاؤها الأولى عقب ذلك . على أنه مما يسد بعض الشيء ذلك النقص الحادث هو تلك المذكرات التى نشرها كبار الساسة فى الازمنة التى عاشوها ولا سيما ما اشتمل منها على وثائق قيمة عن مختلف المناسبات . أما الكتب العديدة ذات الصبغة التصويرية

المحضة فلم يكن ذكرها مستطاعاً الا فى الاحوال النادرة جداً لان مرجعها في آخر الامر هو الى نفس المصادر التى استقينا منها بيان ما نحن بصدده

ولقد كانت أكبر مهمة فرض علينا أداؤها هي ان نعمد الى تلك الوفرة المربكة من التفاصيل والدقائق فنستخلص منها صورة واضحة ما أمكن لاهم الخطط التى نشأ عنها التطور ، وكان لزاماً لتحقيق هذا الغرض أن نعنى بأكبر الحوادث شأناً وأفعلها أثراً في سير الامور فنثبتها ، وأن نمر كراماً بالمسائل الثانوية نغفلها احياناً اغفالا تاماً . فما كان من الممكن وما ينبغي ان يحصى كتيب كل ما طواه الماضى ويقتل كل شيء بحثاً . وما دام امر هو القول الفصل فأحرى بالمرء أن يجتزىء به. لذلك كان همنا قبل كل شيء وفى وصف الايام العصيبة التى سبقت نشوب الحرب مباشرة ـ والتى بات بأيدينا اليوم عن مجراها طائفة من التحقيقات الخاصة القيمة ـ نقول كان همنا فى وصف تلك الايام ايضاً ان نستخلص وجهات النظر العامة كيما نرى كيف كان الى اللحظة الاخيرة فعل الاحداث الكبرى التى كونت التطور

البحث وراء الماضى القريب واكتناه اموره أصبح ضرورة لازمة للشعب الالماني . فما كان عود الطمأنينة الى النفوس واستقرار الأذهان ليبدأ باستنكاف البحث فيما كان أو بتمجيد الهناء الضائع تمجيداً أعمى . فانه ليجب أن نجابه الامس صادقى العزم قاسين على أنفسنا . ذلك ان هـذا الامس ـ أردنا أو لم نرد ـ هو الذي يصـدر عنه اليوم والغد ، فاذا كنا نبغى السير الى الامام فانا بحاجة الى أن يظهر لنا هذا الماضى واضحا . ولقد تعمدنا في الصورة التى نعرضها على القـارىء أن نغفل الاجابة عن السؤال المعروف عن تبعة الحرب العالمية . فان من واجب المؤرخ أن يتحرى عن قوانين التطور في حياة الشعوب ويكشف عنها ، فهو يتجنب أن يصدر حكما أدبيا لاقتناعه بان كل حادث قد دفعه الى الوقوع ضرورة كامنة فيه . وليس سوى السياسيين

الذين يرمون الى غرض سياسي ظاهر من يستطيع أن يلقى عبء المسئولية الأدبية عن الحرب على دولة أو دول هي المانيا وحلفاؤها . ومسلك كهذا قائم على أن الخصم المغلوب قد أرغم بالقوة على الاعتراف بذنبه المزعوم لا دخل له بطبيعة الحال بالبحث وراء الحقيقة أو تقريرها . والذى يهم المؤرخ المنصف هو فقط الاعراب عن روح العصر ـ ذلك الروح الذي لا شأن له ـ الا في النادر ـ بالفكرة التى يحاول المؤرخ أن يقررها في عمله وهي « الاخلاق » .

برلين في : نوفمبر ١٩٢٦ فريدريك ستيفن